لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّـــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميـــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته""[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ٨٦الطارق:١-٥.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١-١٤.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾، ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

Translation تَرْجَمَة (تَفْسِيرِيَّة)

(I swear) **By the heaven and** (particularly) **the knocker-like** (Pulsar)**. You can't know what that knocker is, It is** (originally) **the (**massive) **extremely bright** (Supernova) **star** (up to 100 million times that of Sun)**. But, each human being has a** (well-organized) **protection over him** (Magnetosphere)**. So let man to consider from what he has been created** (to know the power of Allah; to re-create him again for judgment)**.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

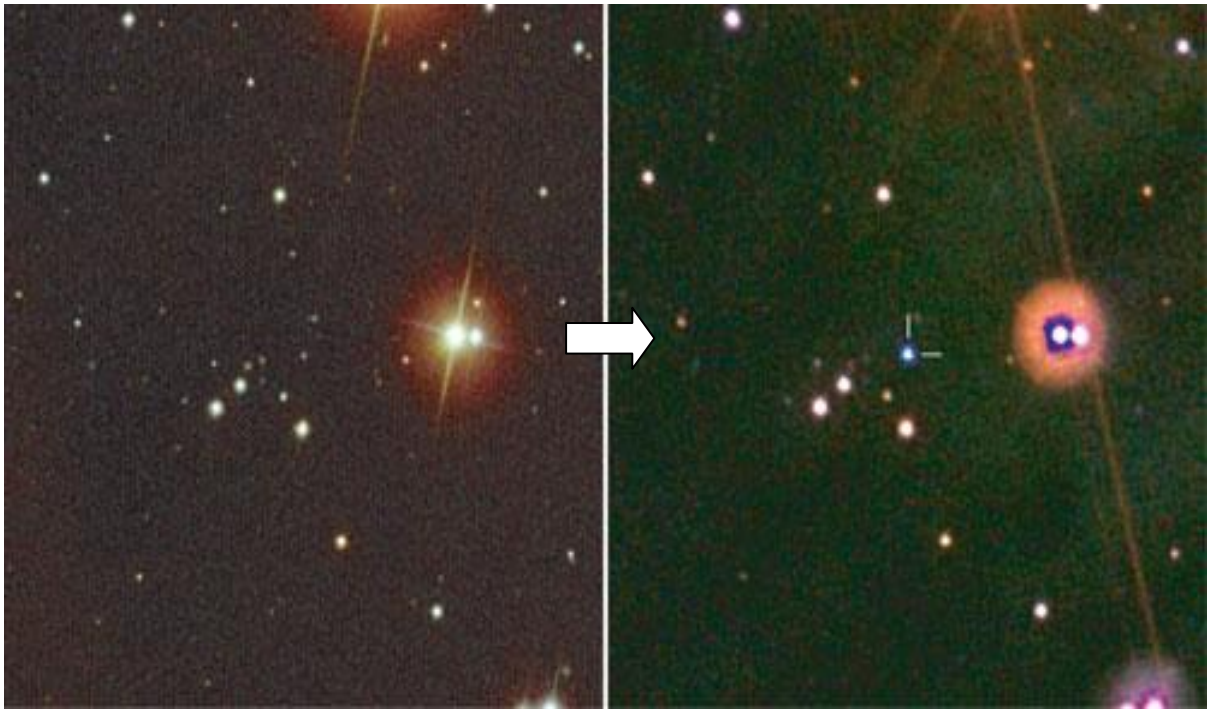

في ١٨ فبراير عام ٢٠٠٦ تم رصد انفجار مُستعر أعظمSupernova في كوكبة الحمل Aries وقد نثر المادة حوله.

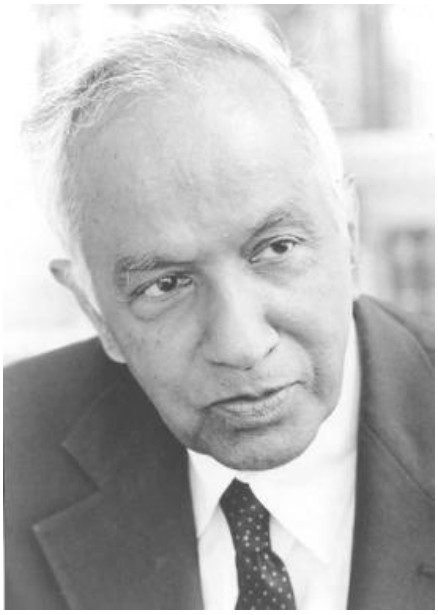

شاندراسيخار Subrahmanyan Chandrasekhar (١٩١٠-١٩٩٥).

في ١٨ فبراير عام ٢٠٠٦ رصدت ناسا مُستعر أعظم بكوكبة الحمل Aries يُطلق أشعة جاما ذات الطاقة الأكبر من الأشعة السينية، والنجم الذي تكون كتلته أكبر من ١,٤٤ مرة قدر كتلة الشمس (حدّ شاندراسيخار Chandrasekhar limit)؛ يهوي على نفسه وينكمش في نهاية حياته بعد استنفاذ كل وقوده النووي؛ ويُحدث انفجارًا مروعًا فيُبعثر مادة القسم الخارجي ويُطلق طاقة إشعاعية هائلة ويُسمى حينئذٍ بالمُستعر الأعظم Supernova، ونتيجة انكماش البقايا المركزية في القسم الداخلي ينجم تفاعل نووي بين الإلكترونات والبروتونات فتتحول إلى نيوترونات؛ ولهذا يُسمى بالنجم النيوتروني Neutron Star، وهو ذو كثافة هائلة؛ فرغم كتلته الأكبر من الشمس يبلغ نصف قطره حوالي: ١٠ كم، وقد يتحول إلى نجم نابض Pulsating Star (Pulsar)، والنجم النابض يبُث موجات راديوية على شكل نبضات منتظمة أشبه بطرقات على الباب، أما إذا كانت كتلة النجم في نهاية عمره أكبر من ٣,٨ مرة قدر كتلة الشمس؛ فإنه يتحول إلى ثقب أسود Black Hole، أما المصير المُتوقع للشمس بعد استنفاذ وقودها؛ فهو التحول لعملاق أحمر Red Giant يُذيب كل ما يُقابله، وتضطرب السماء وتُصبح وردة تتفتح كالدهان حمراء قانية: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ٥٥الرحمن:٣٧، قال ابن عاشور: "(فَكَانَتْ وَرْدَةً) تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ؛ أَيْ كَانَتْ كَوَرْدَةٍ، وَالْوَرْدَةُ وَاحِدَةُ الْوَرْدِ، وَهُوَ زَهْرٌ أَحْمَرُ.. مَشْهُورٌ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ.. شِدَّةُ الْحُمْرَةِ"، "حِينَ يَنْفَتِحُ بِرْعُومُهَا"، "أَيْ يَتَغَيَّرُ لَوْنُ السَّمَاءِ.. فَيَصِيرُ لَوْنُهَا أَحْمَرَ.. "و(الدِّهَانُ) .. الزَّيْتِ..؛ تَشْبِيهٌ.. فِي التَّمَوُّجِ وَالْإِضْطِرَابِ"[٣]، وقال القاسمي: "(أي) كلون الورد الأحمر، (و) كالدهن.. في.. ذوبانه"[٤].

[٣] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (٢٧\ ٢٦١).

[٤] محمد جمال الدين القاسمي؛ محاسن التأويل، المحقق محمد باسل عيون السود؛ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٨هـ (١٩\ ١١٠).

صورة تخيلية للشمس في الأعلى عندما تتفجر وتُصبح
عملاقا أحمر، وصورة وردة حمراء تتفتح في الأسفل.

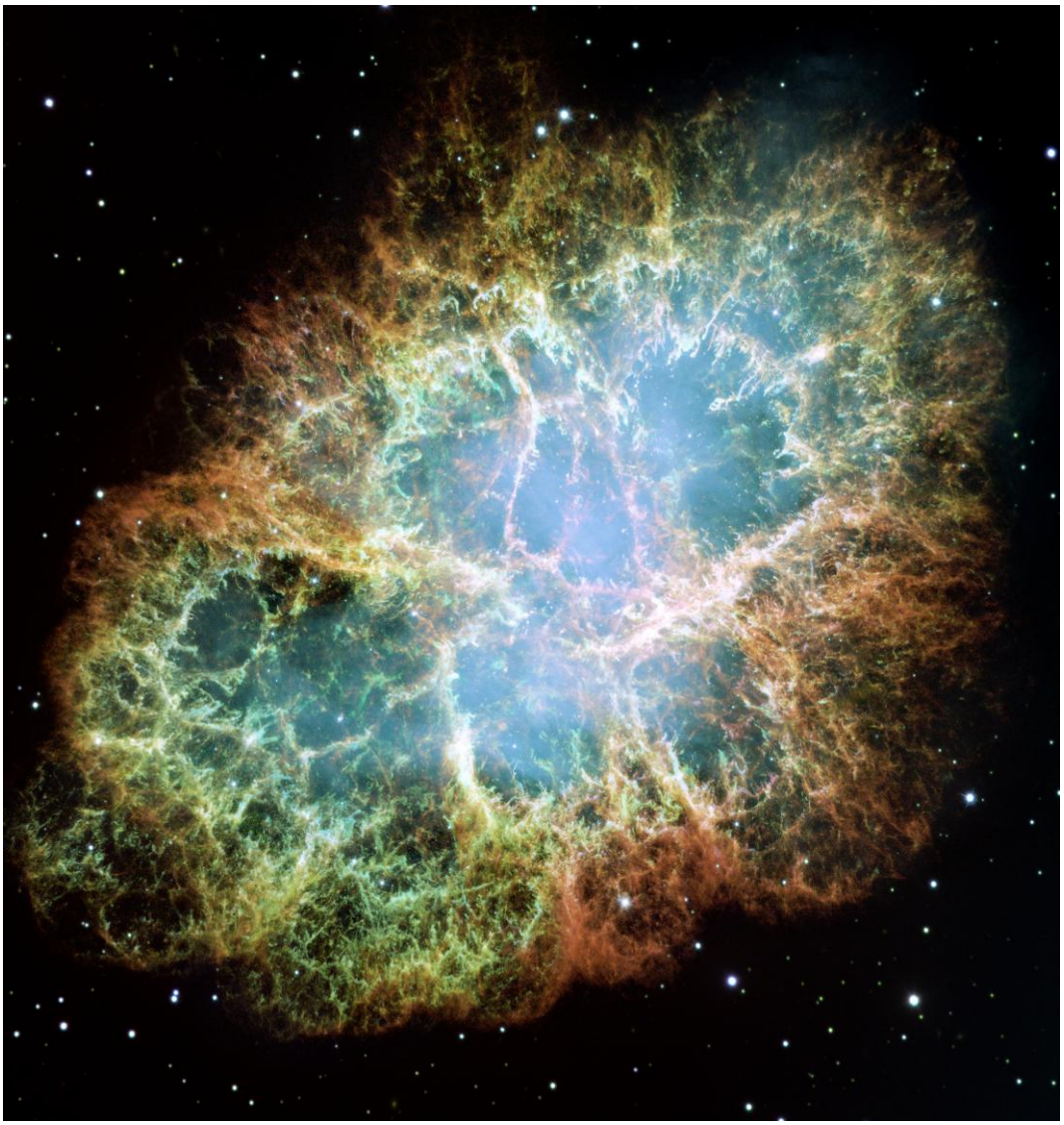

سديم السرطان Crab Nebula؛ في مركزه نجم نباض Pulsar؛
ناجم عن انفجار مستعر أعظم Supernova تم رصده عام ١٠٥٤.

والنجم النابض إذن هو نجم نيوتروني يدور حول نفسه بسرعة كبيرة مُصدرا موجات راديوية وإشعاعات ذات طاقة عالية، والمُكتشف فلكيًّا حتى الآن حوالي: ١٧٠٠ نابض، وبتحويل الموجات الراديوية التي يصدرها النابض لأصوات يُمكن سماع طرقات فعلية، ويوجد نباض في سديم السرطان Crab Nebula خلّفه مُستعر أعظم تم رصده عام ١٠٥٤، فقد لاحظ جون بفيس John Bevis (١٦٩٣ أو ١٦٩٥-١٧٧١) سديم السرطان عام ١٧٣١؛ وتطابق موقعه مع سجلات تاريخية لموقع نجم شديد اللمعان ظهر سنة ١٠٥٤، وبقي ظاهرًا في النهار قرب شهر وفي الليل حوالي عامين، فاتضح أنه كان مُستعرًا أعظم، واتفق عام ٢٠٠٨ على أنه يبعد نحو: ٦,٥٠٠ سنة ضوئية، واكتشف عام ١٩٦٧ في مركزه نجم نيوتروني هو نباض السرطان؛ ويدور حول نفسه دورة كل ٣٠,٢ ثانية، ويصدر أشعة جاما والأشعة السينية بطاقة تبلغ حوالي ٧٥ ألف ضعف ضياء الشمس، وهو أول نباض عُرف بأنه نتيجة انفجار تاريخي لمُستعر أعظم.

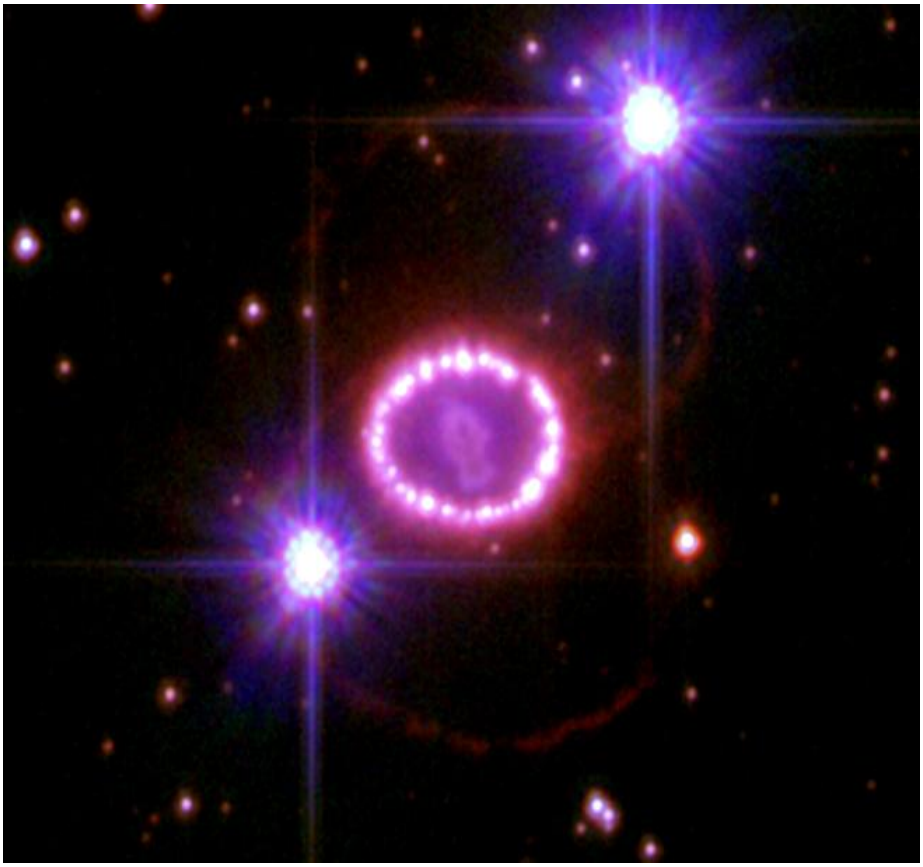

صورة بقايا انفجار مُستعر أعظم (1987A) في سحابة ماجلان الكبرى؛
التقطها تلسكوب هابل الفضائي عام ٢٠٠٧ ونشرتها وكالة الفضاء ناسا.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ الطارق: ١-٣؛ لا يُقسم القدير إلا بحدث عظيم يدل على قدرته تعالى، فأقسم بلفظ (السَّمَاءِ) في موضع الكون وخصص بآية على علمه تعالى؛ وهو النجم الطارق تمثيلاً لما يُصدر من نبضات مُنتظمة كأنها الطرقات على الأبواب، وإذا تم تحويل النبضات إلى صوت سُمع بالفعل كأنه طرقات knocks، وهو المُكتشف حديثًا والمعروف باسم النجم النابض Pulsating Star، وأما التعبير: (النَّجْمُ الثَّاقِبُ)؛ فيعني النجم المُميز بكونه ثاقب الإشعاع شديد السطوع Extremely Bright Star، وهي صفة نجم عملاق حين ينفجر ويطرح مادته ويُصدر إشعاعا قويًّا؛ والمعروف حديثًا بالمُستعر الأعظم Supernova، لكن المُدهش أن يصف النظم النجم الطارق بكونه هو النجم الثاقب من حيث الأصل؛ فهو يقرر أن النابض أصله نجم مُستعر، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ٨٦الطارق:٤؛ في سياق ذكر الأشعة الكونية تنويه بخطورتها، والتصريح بوجود حافظ فوق كل إنسان؛ يتفق مع الغلاف المغناطيسي Magnetosphere الذي يدفع الخطر عن كل البشرية، وكل هذا دلائل قاطعة على الوحي؛ حيث لا يُمكن نسبة تلك المعارف العلمية الحديثة لبشر عاش في القرن السابع الميلادي.

والأصل هو حمل لفظ (النَّجْمُ) على ظاهره كاسم جنس لأحد أنواع النجوم السماوية المُتميزة بالصفات المذكورة؛ خاصة مع التصريح بموضع وجوده بلفظ (السَّمَاءِ)، ويتضمن الوصف بيان سطوع ما يُصدره من ضوء وطاقة نافذة، وأنها تأتي متتابعة بهيئة نبضات تماثل الطرقات على الأبواب؛ مما يستقيم معه حمل الوصف على النجوم البراقة النابضة Pulsars، وهي نوع غير معروف سابقًا من النجوم؛ مما يجعل بيانه آية على الوحي لقوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ)، والعدول عن لفظ (اللامع) أو (البراق) إلى (الثَّاقِبُ) يتجاوز معنى سطوع أشعته إلى ظاهر الثقب للأجسام المادية؛ فهو إذن بالإضافة للضوء الساطع يُصدر إشعاعا يُمكنه النفاذ خلال الأرض، وهذا يطابق تمامًا الجسيمات الشبحية Neutrino.

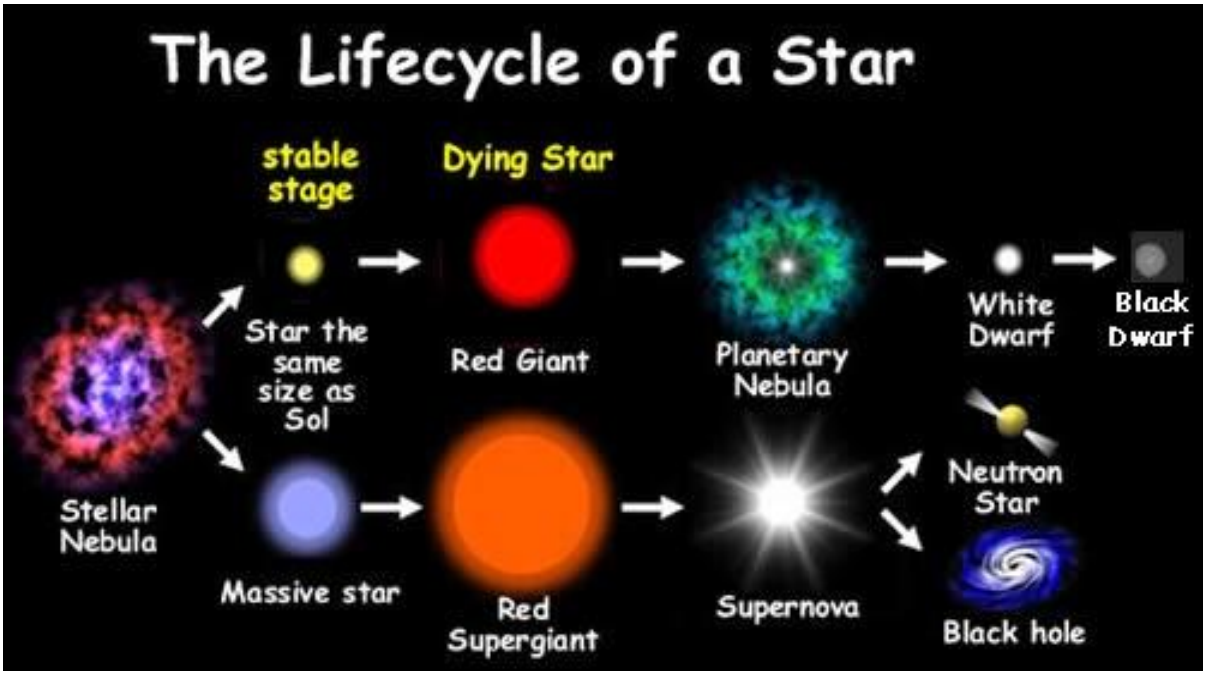

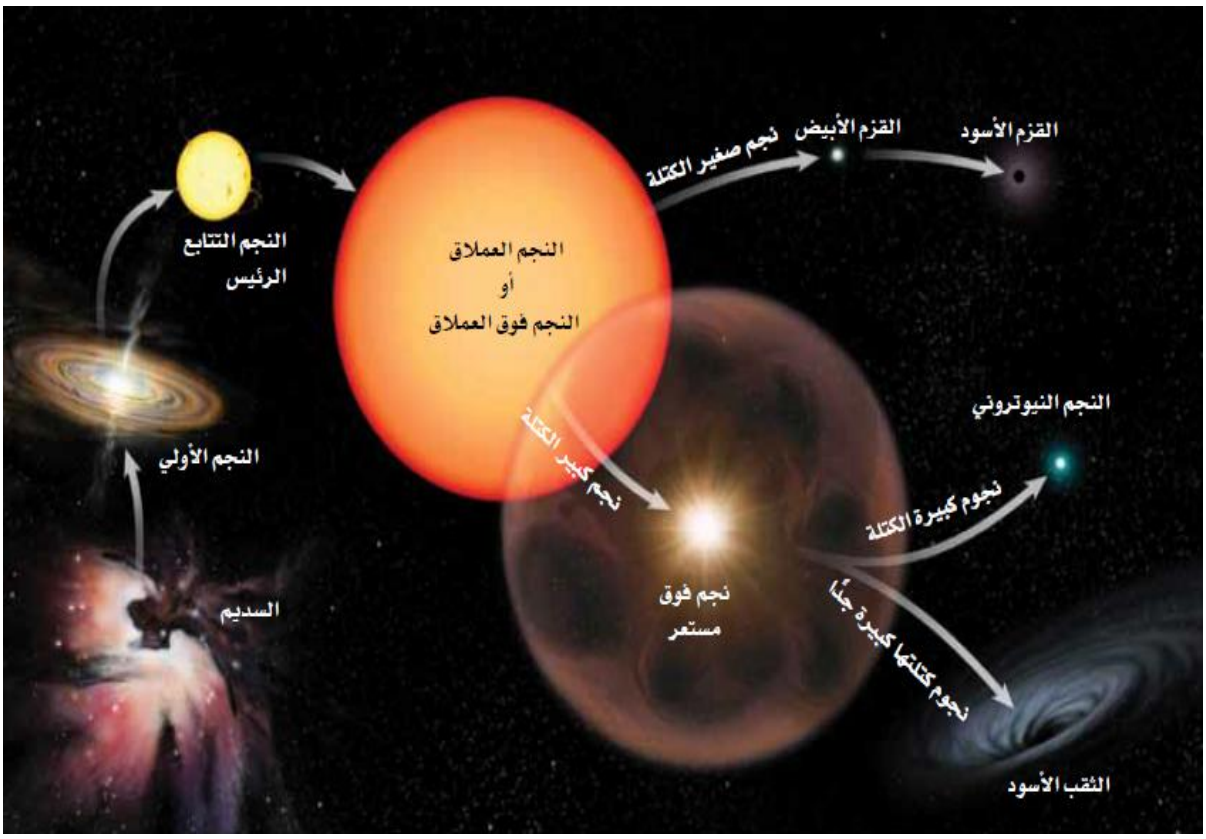

وبعد استنفاذ الوقود النووي، يبدأ النجم في الاحتضار بالتوهج الشديد علي هيئة عملاق أحمر Red Giant؛ إذا كانت كتلته في حدود كتلة الشمس، أو ينفجر بهيئة مُستعر أعظم Supernova؛ إذا فاقت كتلته كتلة الشمس بعدة مرات، أما النهاية في حالة النجوم فائقة الكتلة فهي الثقب الأسود Black hole، والمستعرّ الأعظم تعبير يدل على انفجار نجم تفوق كتلته عدة مرات كتلة الشمس مع إصدار إشعاعات شديدة البريق سرعان ما تخبو في غضون أسابيع أو أشهر، وقد تبلغ شدة إضاءة النجم أكثر من مليون مرة قدر إضاءة الشمس، ومن أهم هذه المراحل المُتأخرة في حياة النجوم ما يعرف باسم النجوم النيوترونية النابضة أو النوابض Pulsars، وهي نجوم شديدة التضاغط، وتتصف بحركة سريعة لتدور عدة دورات حول نفسها في كل ثانية، ومن ثم تنبض بنبضات منتظمة وترسل زخم من الأشعة الراديوية في كل ثانية، وقد يصل عدد النبضات إلي ثلاثين نبضة في الثانية، ويعتمد عدد النبضات علي سرعة دوران النجم حول محوره، حيث أنه من المُعتقد أن كل دورة كاملة للنجم حول محوره تصاحبها نبضة من نبضات الموجات الراديوية التي تسجلها المقربات أو التليسكوبات الراديوية بوضوح تام، وتندفع كميات هائلة أثناء الانفجار من الأجسام الشبحية النيوترينو Neutrino التي يُمكنها اختراق الأرض من جانب إلى آخر.

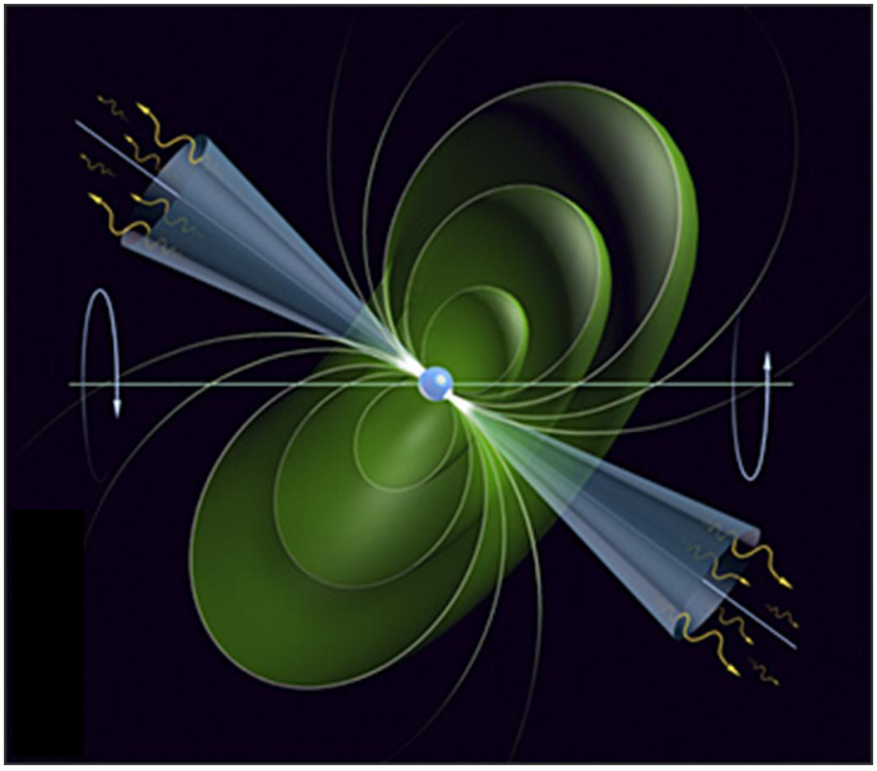

وترجع قصة اكتشاف النجوم النابضة إلى عام ١٩٦٨ حينما التقطت طالبة أمريكية إشارات لاسلكية من خارج الأرض بواسطة التلسكوب اللاسلكي Radio Telescope؛ تأتي في شكل نبضات منتظمة، وفي عام ١٩٨٧ رصد الفلكيون انفجار نجم بجوار مجرة المرأة المسلسلة Andromeda الأقرب لمجرتنا في سحب ماجلان الكبيرة Large Magellan Clouds؛ وتنطبق أوصاف القرآن تماما مع النجوم النابضة Pulsating Stars؛ فهي نجوم ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير وتدور حول محورها بسرعات فائقة مُطلقة كميات هائلة من الإشعاعات، ولذا تُعرف باسم النوابض الراديوية Radio Pulsars، لأنها ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية أو في كل عدد قليل من الثواني حسب حجمها وسرعة دورانها حول محورها، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلي ثلاثين نبضة في الثانية الواحدة، ويعتقد أن النابض الراديوي يُطلق نبضة واحدة في كل دورة كاملة حول محوره.

وأجواء النظم تتعلق بظواهر كونية: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾، ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، الطارق: ١-٤؛ واختتمت كذلك بظواهر كونية: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ٨٦الطارق:١١و١٢، فناسب ذكر آيات الآفاق ذكر آيات تتعلق بالأنفس الإنسانية؛ تذكيرًا بيوم الحساب: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ ٨٦الطارق:٥-١٠، والمغزى أن النجوم العظيمة مُقدر لها دورة حياة؛ تموت وتُبعث، وبالمثل للإنسان دورة حياة؛ يموت ويُبعث، لمحات للفطين ليُدرك أن أنباء الغيب المُتعلقة بالتكوين في القرآن الكريم؛ ذخائر مُدَّخَرَة للقادمين تؤيد الوحي لخاتم النبيين.

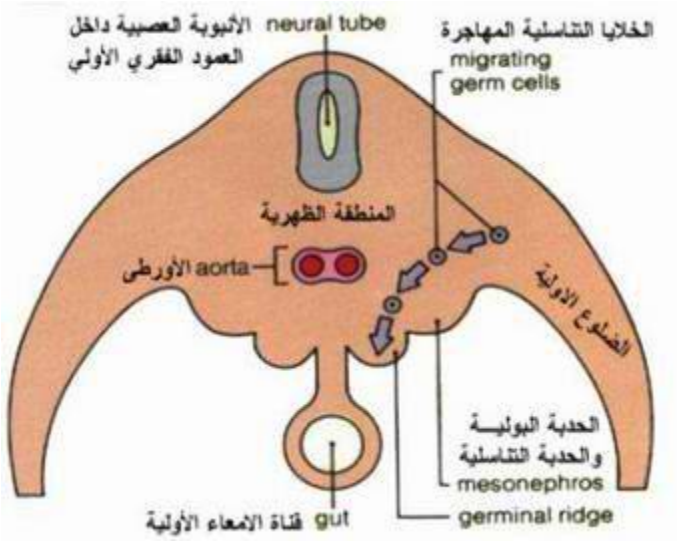

قطاع عرضي يبين نشأة الغدة التناسلية في المنطقة الظهرية للجنين (الأسبوع ٥٦)؛ وهجرة أصولها الخلوية بين بدايات العمود الفقري والضلوع قبل انفصالها وتميزها.

ويكفي أن وصف المني Semen الشبيه بالماء في تعدد المُكونات بكلمة (دَافِقٍ)؛ يعني الحركة الذاتية للمُكونات قبل أن تراها عين تحت المجهر، لأن (دَافِقٍ) اسم فاعل غير (مدفُوق)؛ يدل على الصفة اللازمة والفاعلية الذاتية، والماء الدافق تعبير وصفي للمني لأنه سائل تركيبه يُماثل قطرات الماء؛ إلا أنه حي تتدفق تكويناته وتتحرك بنشاط، وجميع الأوصاف عدا وصف الماء بالدافق تتعلق بالإنسان لأن بدء خلقه هو محور الحديث والموضوع الرئيس؛ وهو المُستدل به على إمكان الإرجاع حيًّا للحساب، فضمير (لَهُ) في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾؛ لا يستقيم عوده إلى الماء وإنما إلى الإنسان، وضمير (رَجْعِهِ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾؛ عائد إلى الإنسان، أي بعثه للحساب بقرينة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ﴾، قال ابن جزي: "الضمير في (إنه) لله تعالى، وفي (رَجْعِهِ) للإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته"[٥]، وكلها قرائن على عود ضمير (يخرج) كذلك إلى الإنسان: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾، وخروج ذرية الإنسان من الظهر هو صريح قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِيَ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف:١٧٢، وقوله: ﴿أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء:٢٣، والصلب هو الظهر وسُميت عظام الصدر ترائب لتماثلها في الجانبين، وهو موضع تكون الكليتين والغدة التناسلية في الجنسين Gonad؛ منشأ الخصيتين والمبيضين، وللوجدان أن يقشعر من دقة البيان التي ميزت بين موضع تكون أعضاء إنتاج الذرية وموضع خروجها على طريق هجرتها.

قال المراغي: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ أي فلينظر بعقله وليتدبر في مبدأ خلقه ليتضح له قدرة واهبه وأنه.. على إعادته أقدر..، ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾.. حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف عن معرفتها وإثباتها ثلاثة عشر قرنا، بيان هذا أن صلب الإنسان هو عموده الفقري وترائبه هي عظام صدره..، وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يُفسر لنا هذه الآيات التي حيرت الألباب..، فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يُجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين مُنتصف العمود الفقري.. ومقابل أسفل الضلوع..، فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شئونهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب؛ فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به رب العالمين، ولم يكشفه العلم إلا حديثا بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول ذلك الكتاب، هذا وكل من الخصية والمبيض بعد كمال نموه يأخذ في الهبوط إلى مكانه المعروف، فتهبط الخصية حتى تأخذ مكانها في الصفن، ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم، وإذا هدي الفكر إلى كل هذا في مبدأ خلق الإنسان؛ سهل أن نصدق بما جاء به الشرع وهو البعث في اليوم الآخر..: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، أي إن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء..؛ قادر أن يرُده حيًّا بعد أن يمُوت"[٦].

---

[٥] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (٢\ ٤٧٢).

[٦] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٣٠\ ١١٤).

لقد أذهل القرآن الكريم عند نزوله فرسان البيان وشهد بروائعه حتى المُكابرون، وتضمن دلائل على الوحي للناس أجمعين؛ تكشفها الأيام حينًا بعد حين فيستقر المضمُون، قال تعالى :﴿إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، وقال تعالى : ﴿لّكُلّ نَبَإٍ مّسْتَقَرّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأنعام:٦٧، ولم يقل الأعلام أن إعجازه مقصورٌ فحسب على زمن التنزيل؛ فقد ذخر بوصف ظواهر كونية عديدة في مجالات علمية متنوعة ليست كيفيتها معلومة لبشر زمن التنزيل، وليس من المُعتاد تناولها في أي كتاب آخر يُنسب للوحي؛ مع قابلية مُطابقة مآثر الكشوف العلمية بوجه مع الدلالات في البيئة العربية، فالألفاظ معلومة لكن الكيفية مجهولة؛ حملها بتلطف نظم فريد، وادخرتها أمثال توافق مضامينها الواقع المستور زمن التنزيل؛ كدلائل على الوحي للقادمين العالِمين بخفايا التكوين، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاّ الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت:٤٣، حقائق علمية تناولها الكتاب الكريم؛ تتحدى المُكابر وتشهد للفطين بوحدانية القدير، وسبق علمه وتقديره وبديع صنعه وحكيم تدبيره، يقول العلي القدير :﴿بَلْ كَذّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِينَ﴾ يونس:٣٩.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب إن كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر}؛ قوله تعالى: {والسماءِ والطارقِ}، هما قسمَان: (والسماءِ) قَسَمٌ (والطارقِ) قَسَمٌ، (الطارق) نجم، وقد بيّنه الله تعالى بقوله: {وما أدْراكَ ما الطارقُ النجْمُ الثّاقبُ}..، وأصل الطرق الدق، ومنه سميت المطرقة، فسمي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه في الوصول إلى الدق، وفي قوله (النجم الثاقب) ستة أوجه؛ أحدها: المضيء؛ قاله ابن عباس، الثاني: المتوهج؛ قاله مجاهد، الثالث: المنقضّ؛ قاله عكرمة، الرابع: أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها؛ قاله الفراء، الخامس: الثاقب: الشياطين حين ترمى؛ قاله السدي، السادس: الثاقب في مسيره ومجراه؛ قاله الضحاك، وفي هذا النجم الثاقب قولان؛ أحدهما: أنه زُحل؛ قاله عليّ، الثاني: الثريّا؛ قاله ابن زيد، {إن كُلُّ نفْسٍ لّما عليها حافِظٌ} فيه وجهان؛ أحدهما: (لّما) بمعنى إلاّ، وتقديره: إنْ كل نفس إلاَّ عليها حافظ؛ قاله قتادة، الثاني: أن (ما) التي بعد اللام صله زائدة، وتقديره: إن كل نفس لعليها حافظ؛ قاله الأخفش، وفي الحافظ قولان؛ أحدهما: حافظ من الله يحفظ عليه أجله ورزقه؛ قاله ابن جبير، الثاني: من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أو شر، قاله قتادة، ويحتمل ثالثاً: أن يكون الحافظ الذي عليه عقله، لأنه يرشده إلى مصالحه، ويكفّه عن مضاره، {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتّرائِبِ} فيه قولان؛ أحدهما: من بين صلب الرجل وترائبه؛ قاله الحسن وقتادة، الثاني: بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء، وفي الترائب ستة أقاويل؛ أحدها: أنه الصدر؛ قاله ابن عياض..، الثاني: ما بين المنكبين إلى الصدر؛ قاله مجاهد، الثالث: موضع القلادة؛ قاله ابن عباس..، الرابع: أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل؛ قاله ابن جبير، وحكي الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، الخامس: أنها بين اليدين والرجلين والعينين؛ قاله الضحاك، السادس: هي عصارة القلب؛ قاله معمر بن أبي حبيبة، {إنّه على رَجْعِهِ لقادرٌ} فيه خمسة أوجه؛ أحدها: على أن يرد المني في الإحليل؛ قاله مجاهد، الثاني: على أن يرد الماء في الصلب؛ قاله عكرمة، الثالث: على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبا ومن الصبا إلى النطفة؛ قاله الضحاك. الرابع: على أن يعيده حيّاً بعد موته؛ قاله الحسن وعكرمة وقتادة، الخامس: على أن يحبس الماء فلا يخرج، ويحتمل سادساً: على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة؛ لأن الكفار يسألون الله فيها الرجعة، {يومَ تُبْلَى السّرائرُ} أي تَظْهَر، ويحتمل ثانياً: أن تبتلى بظهور السرائر في الآخرة بعد استتارها في الدنيا، وفيها قولان: أحدهما: كل ما استتر به الإنسان من خير وشر؛ وأضمره من إيمان أو كفر..، الثاني: هو ما رواه خالد عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأمانات ثلاث: الصلاة والصوم والجنابة، استأمن الله ابن آدم على الصلاة، فإن شاء قال: قد صليت ولم يُصلّ، استأمن الله ابن آدم على الصوم، فإن شاء قال: قد صمت ولم يصم، استأمن الله ابن آدم على الجنابة، فإن شاء قال: قد اغتسلت ولم يغتسل، اقرؤوا إن شئتم: (يوم تُبْلى السّرائرُ)، {فما لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا ناصِرٍ} فيه قولان؛ أحدهما: أن القوة العشيرة، والناصر: الحليف؛ قاله سفيان، الثاني: فما له من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله أو ينتصر به على الله؛ وهو معنى قول قتادة، ويحتمل ثالثاً: فما له من قوة في الامتناع ولا ناصر في الاحتجاج"[٧].

[٧] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١٦ ٢٤٥).

وقال ابن جزي: "(وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ) هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة. وقيل: أراد المطر لأن العرب قد تسميه سماء؛ وهذا بعيد، والطارق في اللغة ما يطرق أي يجيء ليلا، وقد فسره الله هنا بأنه (النجم الثاقب)، وهو يطلع ليلا، ومعنى الثاقب: المُضيء أو المُرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا، لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زحل، (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ) هذا جواب القسم؛ ومعناه عند الجمهور: أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها، يعني: الملائكة الحفظة، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الآية: أن لكل نفس حفظة من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين، وإن صح هذا الحديث فهو المعوّل عليه، وقرئ (لما عليها) بتخفيف الميم، وعلى هذا تكون (إن) مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة، وقرئ (لمّا) بالتشديد، وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الإيجاب بعد النفي، (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ) حذف ألف (ما) لأنها استفهامية، وجوابها: (خلق من ماء دافق)، وسمي المني ماء دافقًا من الدفق، بمعنى الدفع، فقيل: معناه مدفوق؛ وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، قال سيبويه: هو على النسب؛ أي ذو دفق، وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا، ومقصود الآية إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أنه يعيده، ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها، أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها، (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ) الضمير في يخرج للماء وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان، وهذا بعيد جدا، والترائب: عظام الصدر واحدها: تريبة، وقيل: هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل: هي عصارة القلب، ومنها يكون الولد، وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب، والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس: هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة، (إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ) الضمير في إنه لله تعالى وفي رجعه للإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته، والمراد إثبات البعث، (يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ) يعني: يوم القيامة، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسرّ العبد في قلبه من العقائد والنيات، وما أخفى من الأعمال وبلاؤها هو تعرّفها والاطلاع عليها، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وهذه معظمها، فلذلك خصّها بالذكر، والعامل في يوم قوله: (رَجْعِهِ) أي يرجعه يوم تبلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما، وأجيب بقوة المصدر في العمل، وقيل: العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم، وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم، وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى تقديره: يرجعه يوم تبلى السرائر، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه، وأما على الأقوال الأخر؛ فالعامل في يوم مضمر تقديره: اذكر، (فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا ناصِرٍ) الضمير للإنسان، ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له؛ أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة"[٨].

[٨] أبو القاسم محمد أحمد ابن جزي؛ التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى؛ ١٤١٦هـ (١٢ ٤٧١).

الحَقْل العِلمِي Scientific Field

Astronomy

علم الفلك

المَوْضُوع Subject

Supernovas and Pulsars

المستعرات العظمى والنجوم النوابض

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ. وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١٣الرعد:١٠-١٣.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ. إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ. يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ. فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ. وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ ٨٦الطارق:١-١٤.
- ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ٥٥الرحمن:٣٧.
- ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٢١الأنبياء:٣٢.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٣٤سبأ:٢.
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ٥٧الحديد:٤.
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ٥٧الحديد:٢٥.
- ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ. وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ. لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ٣٧الصافات:٦-١٠.
- ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٤١فصلت:١٢،
- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ. وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٦٧الملك:٥و٦.
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ٦الأنعام:٦١.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ٥٠ق:١٦-١٨.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٢الإنفطار:١٠-١٢.
- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٥الحجر:١٦-١٨.